اللهجات العربية القديمة في اللسان البصري

دراسة صوتية

المدرس الدكتور
حسين مزهر حمادي
جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة

المقدمة :-

كانت البلاد العربية قديما تضم قبائل متعددة ، قسم منها كان يسكن متجاوراً بعضه لبعض وبشكل متمازج ، والقسم الآخر كان شبه منعزل، اذ لكل قبيلة مكانها المستقل والمنعزل عن القبيلة الأخرى.

وقد سكن القسم الأول شمال الجزيرة العربية في (مكة والطائف) فلقبوا بـ (الحضر) نسبة الى الموقع الجغرافي الذي استوطنوه ، والقسم الآخر سكنوا في جنوب وشرق الجزيرة العربية في(بوادي نجد وتهامة) فلقبوا بـ (البدو) لاستيطانهم في البادية.

وكانت قبيلة (قريش) من اشهر قبائل (الحضر)، اما اشهر قبائل البدو فهي (تميم).. ونظراً للموقع الجغرافي الذي كانت تقطنه قبائل البدو، وان بعضها كان بعيداً عن القبائل الأخرى ومنعزلاً ظهرت بعض السمات النطقية التي اختلفت قليلاً عن اللغة الأم، ثم بدأت تكثر حتى أصبحت ظاهرة لهجية اعتادها اهل هذه القبيلة والفوها بينهم فامتازوا بها عن القبائل الأخرى ، ثم شيئاً فشيئاً أصبحت ملمحاً من ملامح الانتماء القبلي وجزءاً من هوية القبيلة التي تعرف بها وتتعصب لها ولا ترضى بتغييرها. هذا من جهة, ومن جهة أخرى فإن البيئة الجغرافية قد تفرض على

بعض القبائل صفات نطقية معينة، فالبادية- مثلاً- حياة قاسية وصعبة وغير مستقرة أو آمنة, وهذا كله ينعكس على طبيعة ساكنيها، إذ أن الشدة والخشونة قد اثرت حتى في أصواتهم وألفاظهم , فنجدهم يفضلون الأصوات المجهورة الشديدة ذات الجرس الضخم ليسمع احدهم الآخر بسبب تباعد المساكن وانفتاح الصحراء، أما من يسكن البيئة الحضرية التي تميل نحو الهدوء والسكون والاستقرار ، فإن طبيعته العضوية ستُصقل بهذه العوامل البيئية ، فترى أهلها يبتعدون عن الأصوات الصاخبة والألفاظ الخشنة ويفضلون الخفيفة منها والمهموسة والرخوة , وهذا خلق بيئة لغوية اختلفت في سماتها النطقية عن بيئة البدو فظهر التعدد اللهجي , وهناك عامل آخر أدى إلى ظهور اللهجة وهو ان بعض القبائل العربية كانت تجاور أقواما غير عربية وبعضها كانت تتاجر مع أقوام غير عربية فتختلط بها وتمتزج معها ، فيحصل التلاقح اللغوي فيدخل في قاموس تلك القبيلة بعض أصوات ومفردات تلك الأقوام الأعجمية , فتعتادها وتألفها حتى تصبح جزءاً من قاموسها وتجري على السنة ابنائها , فتصير ظاهرة لهجية تُعرف بها القبيلة وهناك عوامل أخرى لا مجال لذكرها اسمهت بشكل أو بآخر في خلق اللهجات, ومن هنا تميزت كل قبيلة بصفة أو مجموعة صفات نطقية تختلف عن اللغة الام , وكوّنت ظاهرة تُعرف بها تلك القبيلة , كـ (عنعنة تميم) و (كشكشة ربيعة) و (تلتلة بهراء) و (فحفحة هذيل),وهكذا. ونقرأ في الكتب القديمة لغة طيء , ولغة هوازن, ولغة تميم...., وهم يعنون بـ (اللغة) اللهجة التي تعارف عليها اهل هذه القبيلة , والسمات النطقية التي اشتهروا بها .

وتذكر المصادر انه بالرغم من هذا الاختلاف اللهجي بين القبائل العربية إلا ان هناك لغة فصحى موحدة هي لغة المثقفين من الكتاب والأدباء والشعراء يتواصلون عبرها ويتصلون , وهي لغة قريش , اذ ان قريشاً- كما تروي المصادر- كانت لهجتها أوضح اللهجات وافضلها وافصحها : ((فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم, وكشكشة ربيعة , وكشكشة هوازن , وتضجع قيس , وعجرفية ضبّة , وتلتلة بهراء))(١) , لأنها وبسبب موقعها الجغرافي كانت محطاً للقوافل, وملتقى للقبائل , ثم موقعها السياسي والديني والاقتصادي جعلها تحتل قلب الجزيرة العربية وأصبح أهلها سادة العرب فاشتهرت لهجتهم بين القبائل وأضحت اللغة الرسمية للبلاد العربية قاطبة. وقد أشار الى ذلك الفراء بقوله : ((كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية , وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به, فصاروا أفصح العرب, وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ))(٢) , ومن هنا اختارها الله عز وجل فأنزل بها القرآن الكريم , وان أنزلت بعض الآيات على غير لهجة قريش .

وكما اشرنا آنفاً , انه بسبب التعصب القبلي تجاه هذه اللهجات وتمسكهم بها واستعمالهم إياها تفاخراً كثرت على السنة شعرائهم وادبائهم فدُوّنت في تاريخ كل قبيلة, واشتهرت بين مثقفي العرب وعلمائهم , فدُونت ايضاً في كتبهم , ومفاخرهم وطفق ابناء كل قبيلة يتوارثون لهجة آبائهم , جيلاً بعد جيل فبقيت حتى وصلتنا اليوم , ولئن اندثر قسم منها فإن قسماً كبيراً مازال موجوداً ومستعملاً بشكل يومي في معظم انحاء الوطن العربي. وما هذه الدراسة إلا مساهمة متواضعة للكشف عن ذلك الموروث اللهجي الذي ظهر على ألسنة أهل البصرة- احدى أهم محافظات العراق.

ولم تقتصر الدراسة على الكشف فحسب وانما تتبّع الظاهرة اللهجية ومعرفة مصدرها والقبيلة التي عرفت بها, ثم دراسة الظاهرة دراسة وصفية اولاً وتحليلها تحليلاً صوتياً- في ضوء علم اللغة والاصوات الحديث ثانياً , للوقوف على ابرز سمات تلك الظاهرة والأسباب التي كانت وراء نشوئها والدواعي التي دعت الى النطق بها وميل اللسان نحوها, مع ذكر بعض آراء العلماء القدامى والمحدثين حول هذه الظواهر اللهجية ومناقشتها.

ولم يشمل البحث جميع الظواهر اللهجية الموجودة في اللسان البصري بل اقتصر على طائفة محددة مثّلت أبرزها .

أولاً / الإبدال

من الظواهر اللهجية العربية المهمة التي مازالت موجودة ومنتشرة في اللسان البصري الى يومنا هذا ظاهرة الابدال التي تعني ابدال حرفٍ مكان حرفٍ آخر لدواع وأسباب سنحاول الوقوف عندها واستبيانها- من خلال هذا البحث- ولقد كثرت هذه الظاهرة وذلك بسبب تعدد القبائل العربية وكثرة لهجاتها واستعمالاتها اللغوية, وفيما يلي نماذج من هذا الابدال .

- إبدال السين صاداً

يُروى عن الفراء انه قال : ((ونفراً من بلعنبر يصيرون السين إذا كانت مقدّمة ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء صاداً))(٣), وقُرِيء (الصراط) بالصاد معزوّاً الى قريش , وغيرها (السراط) بالسين(٤).

وما زال هذا الابدال موجوداً اليوم في اغلب مناطق العراق ولا سيما البصرة يقولون : (صَطر) بدلاً من (سطر) و (صلخ) بدلاً من (سلخ) و (صخي) بدلاً من (سخي) و (صبخة) بدلاً من (سبخة) وغيرها من المفردات , وما ذلك الا اثر من آثار اللهجة العربية القديمة مازالت متمثلة في لساننا الحديث.

التحليل الصوتي: السين في العربية صوت مهموس رخو مخرجه بين طرف اللسان واطراف الثنايا العليا , اما الصاد فيشترك مع السين صفة ومخرجاً (٥) ،إلا

ان للصاد صفة تفرّقه عن السين وهي (الإطباق) الذي يُعرّفه ابن جني بقوله :((ان ترفع ظهر لسانك الى الحنك الاعلى مطبقاً له))(٦)، وهو ما يقابل مصطلح(التفخيم) في علم اللغة الحديث الذي يعرّفه (جاكوبسن) بأنه :

((تقلص Contraction الجزء العلوي للبلعوم)) (٧)، وفيه يكون اللسان ((مقعّراً منطبقاً على الحنك الاعلى مع تصعّد اقصى اللسان وطرفه نحو الحنك ومع رجوع اللسان الى الوراء قليلاً)) (٨)،صفة الاطباق (التفخيم) إذن هي الصفة التي تمتاز بها الصاد عن السين ولولاها لصارت الصاد سيناً- كما يرى ابن جني(٩).

اما كيف حدث هذا الابدال من الناحية الصوتية فيفسّره ابن جني نفسه بقوله:((لأن حروف القاف والطاء والخاء حروف استعلاء والسين غير مستعل, اي من حروف الاستفال فكرهوا الخروج منه الى المستعلى , لأن ذلك مما يثقل , فأبدلوا من السين صاداً لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير ,وتوافق هذه الاحرف في الاستعلاء ، فيتجانس الصوت))(١٠), ومعنى كلامه : انه حينما تجاور السين حرفاً من هذه الحروف وهي (القاف والطاء والغين والخاء) تحصل حالة من عدم الانسجام والتجانس الصوتي فيثقل ذلك على اللسان بسبب التنقل من الصوت المستفل(غير المفخم) إلى الصوت المستعلى (المفخم أوشبه المفخم), ولكي يتخلص اللسان من ذلك الثقل يميل نحو صوتٍ شبيهٍ بالسين صفة ومخرجاً- لأن الابدال يحدث في الاعم الاغلب بين الأصوات المتجاورة والمتقاربة- (١١)وشبيه بحروف (القاف والطاء والغين والخاء) من ناحية التفخيم ، ليحصل الانسجام والتجانس الصوتي في حال النطق, وليس هناك الا (الصاد) الذي يحمل هذا الشبه وتلك الصفات فاختير بديلاً عن السين . فالعامل الأساس في هذا الابدال هو قوة تأثير هذه الحروف حينما يأتي احدها بعد السين , اذ يؤثر فيها فيحولها صاداً , ويُدعى هذا التأثير بـ(التأثير الرجعي)(١٢) ، بمعنى أن الحرف اللاحق يؤثر في الحرف السابق.

ـ إبدال الهمزة عيناً أو ما يُعرف بـ (العنعنة)

تروي المصادر انها لغة ((تميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون الف أن اذا كانت مفتوحة عيناً , يقولون : أشهد عنّك رسول الله , فإذا كسروا رجعوا الى الالف))(١٣)، وقد وردت شواهد شعرية عديدة على هذا الابدال , منها قول الشاعر:

ان الفؤاد على الذلفاء قد كمدا وحبّها موشك (عنْ) يصدع الكبدا (١٤)

وقول الآخر :

فلا تلْهكَ الدنيا عن الدين واعتمل لأخرةٍ لابُدّ (عنْ) ستصيرها (١٥)

والملاحظ على هذا الابدال انه لم يكن مقتصراً على (همزة) (أن المفتوحة)- كما في النص المذكور آنفاً- بل تعداه الى كلمات أخرى شملت الهمزة عموماً. اذ روي عن تميم انهم كانوا يقولون : خبع وخباع . بدل : جبء وجباء ، ومن العرب من يقول : زعاف . ومنهم مَنْ يقول زؤاف ، وعباب، وأياب (١٦). وهذا يعني ان المسألة ليست مقتصرة على همزة (أن) المفتوحة.

هذا النوع من الابدال مازال مستعملاً في اللسان البصري الحديث فإلى اليوم نسمع بعضهم يقول : قرعان بدل: قرآن ، ويقول : جرعة ، بدل : جرأة ، وفجعة ، بدل : فجأة ، ويكثر هذا في الارياف.

- التحليل الصوتي

وصفت الهمزة قديماً بأنها صوت مجهور شديد مخرجه من اقصى الحلق. اما العين فهو صوت مجهور بين الشدّة والرخاوة , مخرجه من اوسط الحلق(١٧)أي انه مجاور لمخرج الهمزة.

ووُصفت الهمزة حديثاً بأنها صوت بين الجهر والهمس(١٨), وبعضهم وصفها بأنها صوت مهموس مخرجه الحنجرة (١٩).

فالصوتان اذن متجاوران مخرجاً , وشديدان , ولكن الهمزة مهموسة أو بين الهمس والجهر , والعين مجهورة ، وهذا التجاور هو الذي سوّغ الابدال بين الحرفين. وعلّل الكثير من الباحثين هذا الابدال على انه نوع من تحقيق الهمز , أي ان الهمزة اذا بولغ في تحقيقها قُلبت عيناً , وقد اشار الى ذلك الأمر العلامة (الازهري)- كما يذكر الدكتور إبراهيم انيس – في قوله : ((ومن تحقيق الهمز قولك يا زيد من أنت كقولك : (من عنت)))(٢٠), وكذلك ابن دريد حينما عزا لبني تميم انهم يحققون الهمزة فيجعلونها عيناً (٢١).

ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين ان هذا النوع من الابدال انما حدث بسبب وقوع النبر على مقطع واحد,((فلما بولغ الى الضغط تحولت الهمزة الى عين أو شبه عين, اي إلى صوت قريب من الهمزة يمتاز عنها بالجهر ويتقارب معها في المخرج)) (٢٢).

ـ إبدال العين نوناً أو ما يعرف بـ (الاستنطاء)

نحو قولنا : انطى في (اعطى), وهي لغة سعد بن بكر وهذيل والازد وقيس والانصار (٢٣). وبها قرأ الحسن البصري وابن محيصن ((إنا انطيناك الكوثر) (الكوثر) (٢٤), وما زالت جذور هذه اللهجة باقية في اللسان البصري حتى يومنا هذا- بل وفي اغلب مناطق العراق- يبدلون النون مكان العين في (اعطى) وتقلبات فيقولون : انطيك ، انطيتك ، منطيك ، أي اعطيك ، اعطيتك ، معطيك .

ولم تذكر المصادر – حول هذه الظاهرة- سوى مثال واحد وهو (اعطى) يكون (انطى) ، أي ان هذا الابدال بين العين والنون يكون في فعل واحدٍ هو الفعل

(اعطى), لذا نجد الكثير من الأفعال وردت فيها العين بعد الطاء فلم تُقلب (نوناً) نحو :(عطف ، عطش ، عطس ، عطل) وغيرها من الأفعال.

وقد اختلفت الآراء في تفسير هذه الظاهرة ، فكيف قُلبت العين نوناً وليس بينهما تجاور أو تقارب مخرجي؟ اذا ما عرفنا ان الابدال يحدث في اغلب الأحيان بين الأصوات المتجاورة والمتقاربة ؟ ، كما بيّن ذلك ابن جني بقوله : ((ان اصل القلب في الحروف ، انما هو فيما تقارب منها...))(٢٥) ، وأي سبب وراء هذا الابدال ،وفي هذا الفعل بالذات ؟ .

فبعضهم علّ هذا الابدال بأنه انما حصل بسبب (خطأ نطقي), إذ يحتمل أن بعض القبائل قد نطقت صوت (العين) بإخراج مجرى النفس بين الانف والفم (أنفمياً) ولعلّ الرواة سمعوا نطق العين في هذا الفعل فتوهموا في وصفه وصفاً دقيقاً(٢٦).

وبعضهم يرى ان (انطى) لا دخل له بالفعل (اعطى) وانما هو فعل سامي موجود في العبرية وهو (نطا) ومعناه : (مَدّ يده إلى) ، أي انه مقارب لمعنى (اعطى) , ثم زيدت عليه (الهمزة) فصار (انطى) (٢٧).

في حين يرى آخرون ان الفعل في الاصل كان (أتى), ثم ضُعّف فصار (أتّى) ولما كان مقتضى فكّ الادغام في العربية وعموم اللغات السامية إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين أبدلت النون من التاء الاولى فصار (انتى) , ثمّ أبدلت (التاء) بعد ذلك (طاءً) فصار (انطى)(٢٨).

– ويبدو ان السبب وراء هذا الابدال يكمن في صوت (الهمزة والعين) من هذا الفعل ، إذ ان تقاربهما في المخرج واشتراكهما في بعض الصفات جعل نطق احدهما يطغى على نطق الآخر في بعض الأحيان , وخصوصا في حال السرعة عند النطق ، لأن تحقيق نطق هذين الصوتين الواحد تلو الأخر يتطلّب توقفات للهواء وانحباساً له تارة عند (الهمزة), وأخرى عند (العين) وفي هذا جهد عضلي كبير, اما التخفيف والسرعة يُحقق الأول وهو (الهمزة) ويهمل الثاني وهو (العين) , ولمّا أهملت (العين) وقع ثقل اللسان على ما بعد العين وهو (الطاء) فشُدّدت لتعوّض النقص الصوتي الذي حصل من جراء حذف العين, أي حصل فيه نبر مقطعي , لأن الوقف صار عليها وان ما بعدها حرف مد وهو (الالف) ، فصار الفعل (اطّى). ولما كان مقتضى فك الادغام– كما ذُكر آنفاً– ابدال النون مكان احد الحرفين المتجانسين وهو (الطاء المشدّدة) صار الفعل (انطى) . ومما يرجح هذا الاحتمال ان في اللهجة البصرية يستعمل الفعل (اعطى) بحذف العين وتشديد (الطاء) نحو : إطّى , أطّيك , إطّاك , إطّيتك , أطّوا في : اعطى , اعطيك , اعطاك ، اعطيتك ، اعطوا .

ـ إبدال الكاف شينا أو ما يُسمى بـ (الكشكشة)

وهي لهجة تنسبها المصادر الى قبائل ربيعة ومضر , وبكر وناس من تميم واسد , يبدلون كاف المخاطبة شيناً فيقولون : عليش بدلاً من عليكِ , ولش بدلاً

من: لكِ , أو في حال الوقف عند الكاف نحو : عليكْ ، علَيْشْ(٢٩)، يقول مجنون ليلى :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها سوى ان عظم الساق منش دقيق(٣٠)

وقريء قوله تعالى (قد جعل ربّكِ تحتكِ سريا)مريم/٢٤:(قد جعل ربّش تحتش سريا)(٣١).

- التحليل الصوتي

اما تفسير هذه الظاهرة في ضوء علم الأصوات الحديث فهي انما حصلت بناء على(قانون الأصوات الحنكية) الذي توصل اليه العلماء في أواخر القرن التاسع عشر حينما قارنوا اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية , فـ ((لاحظوا ان أصوات أقصى الحنك (كالكاف) و (الجيم) الخالية من التعطيش ، تميل بمخرجها الى نظائرها من أصوات أمامية حين يليها صوت لين أمامي (كالكسرة)، لأن صوت اللين الأمامي في مثل هذه الحالة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك فتنقلب الى نظرائها من أصوات الحنك أو أصول الثنايا العليا , ولهذا وُجدت بعض الكلمات الهندية- الأوربية التي كانت تشتمل على(الكاف) قد تطورت فيها هذه الكاف فيما بعد إلى صوت وسط الحنك الذي ينطق به ، كما ينطق الصوت الأول في الكلمة الانجليزية (Chicken) أي (تْشْ). وهو الصوت الذي قد يُخيّل الى بعض السامعين أنه مكوّن من صوتين ليس في الحقيقة الا صوتاً واحداً كما برهنت التجارب الحديثة في علم الأصوات ويسمي المحدثون هذا الصوت وامثاله (affricatvie) ويتكون هذا الصوت الواحد من عنصرين : أولهما ينتمي إلى الأصوات الشديدة وهو ما يشبه التاء ، وثانيهما الى الأصوات الرخوة وهو ما يشبه الشين))(٣٢).

ولما لم يكن في العربية حرف يعبّر عن ذلك الصوت الذي يشبه صوت(ch) في الانجليزية لم يستطع ائمة اللغة القدماء ان يصفوه أو يكتبوه حرفياً بشكل دقيق(٣٣), فوصفوه بـ (الشين) لقربها من الصوت , ولأنها تمثل احدى عنصريه- كما تبين آنفاً-

ويرى الدكتور إبراهيم انيس ان من قصر هذه الظاهرة على قلب (كاف) المخاطبة المؤنثة الى (شين) هو الاصوب ، لأن كسرة الكاف الدالة على خطاب المؤنثة كان هو العامل الأساس الذي حوّل الكاف شيناً , أما مَنْ قصر هذا الابدال على كاف الخطاب في حال الوقف فأمر ليس له مبرر صوتي(٣٤).

ولكننا نجد في لهجتنا الحديثة (في البصرة واغلب مدن العراق) انهم قد تخلوا عن الكسرة وسكنوا آخر كاف المؤنثة التي تحولت(ج) أو (ch) فقالوا عليج, كتابج ، بيتج في : عليكِ , كتابكِ ،بيتكِ، وهذا يتلاءم مع مذهب (كاف الخطاب في حال الوقف), وورد ايضا في اللهجة البصرية ما يتلاءم مع تبرير قلب الكاف (ج) أو (ch) إذا وليتها كسرة أو فتحة فقالوا في كبير : جبير , وفي كلب :

جلب ، وفي كذاب : جذاب. وهناك الأمثلة الكثيرة في اللسان البصري لهذه اللهجة العربية القديمة .

ـ إبدال القاف جيماً قاهرية (كـ) أو (G) بالانكليزية

وهي لهجة تميم وأسد(٣٥). نقل الفراء انه سمع اعرابياً من بني أسد يقرأ قوله تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) (الضحى/٩) (فلا تكهر). أي بابدال القاف (كـ)(٣٦). ويروى ايضاً انها لغة اهل اليمن (وما زالت موجودة) يقولون في (جمل) (كمل) , ومنه قول ابي الأسود الدؤلي :

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت ولا أكول لباب الدار مكفولُ(٣٧)

اما اليوم فإن هذه اللهجة طافحة على السنة العراقيين عموماً والبصريين بوجهٍ خاص والأمثلة كثيرة نكتفي بذكر بعضها :

(صدق- صدكك) ، (قول- اكول) ، (رقي- ركي) ، (رقعة- ركعة) .

- التحليل الصوتي

القاف صوت شديد مجهور مخرجه من اقصى اللسان من الحنك الأعلى(٣٨). اما الـ (كـ) فلم يحدد له العلماء القدامى حرفاً يرمز له من حروف العربية ، وانما جعلوه بين الجيم والكاف , ووصفوه بأنه غير مستحسن وضعيف في لغة العرب (٣٩).

اما حديثاً فوصف الـ (كـ) بأنه صوت شديد مجهور مخرجه من اقصى الحنك(٤٠), أي انه يشترك مع الـ (قاف) في معظم الصفات ، ولكنه يختلف معه في المخرج فقط , اذ (القاف) من اعلى الحنك , والـ (كـ) من اقصاه , فهما اذن متجاوران. وهناك فرق آخر يبدو انه كان السبب وراء ذلك الابدال بين الصوتين, وهو ان (القاف) من أصوات الاستعلاء- عند القدماء- ((ومعنى الاستعلاء ان تتصعّد في الحنك الاعلى))(٤١), أي انه- بحسب تعريف علم الأصوات الحديث- ((صفة لبعض الأصوات الخلفية وهي القاف والغين والخاء, وفيها يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج الصوت غليظاً مفخماً ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق))(٤٢).

وهو يقابل مصطلح (شبه التفخيم) (Semi-emphatic) عند فيرجسن(Ferguson)(٤٣).

فصفة (الاستعلاء) أو (شبة التفخيم) الموجود في (القاف) تعني ان النطق بهذا الصوت يحتاج جهداً عضلياً اكبر من النطق بصوت الـ (كـ)، ومن هنا كان الميل الى الـ (كـ) من باب التخفيف والسهولة والتخلص من شبه التفخيم في الـ (قاف). وبما إنهما متجاوران سوّغ لهما ذلك الابدال .

ونلاحظ ايضا ان في اللهجة البصرية- وخصوصاً في مناطق الارياف منهم من يبدل القاف جيما مع كسر الحرف الأول من الكلمة فيقولون في صديق صديج ، وفي قليل : جليل ، وفي يقسم : يجسم.

ـ إبدال القاف غيناً وبالعكس

يقول أبو الطيب اللغوي : ((ويقال غلغل يغلغل غلغلة وغلغالاً , وقلقل يقلقل قلقلة وقلقالاً اذا ذهب في الأرض))(٤٤). معنى قوله ان العرب تستعمل (قلقل بالقاف أو بالغين بمعنى واحد , أي انهم قد يبدلون (القاف) مكان (الغين) أو بالعكس والمعنى واحد عندهم.

هذا الاستعمال الصوتي الذي أثر عن العرب القدماء مازلنا نسمعه في اللسان البصري حتى يومنا هذا, وفي الاقضية والنواحي بالذات (كالزبير, والدير, والفاو وأبي الخصيب, وشط العرب, والهارثة, والقرنة, والمدينة), اذ يقولون في (غنم قنم) , وفي (غيم- قيم) , وفي (غراب- قراب) , أي بإبدال (الغين قافاً) . ويقولون في (رقم- رغم) ، وفي (قفص- غفص) , وفي (قرد- غرد) فيبدلون (القاف غيناً)

- التحليل الصوتي

صوت القاف عند القدماء صوت مجهور شديد مخرجه من اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى(٤٥). اما عند المحدثين فهو صوت مهموس , إذ انه كان مجهوراً ثم تطوّر فصار مهموسا(٤٦). وهو من حروف (شبه المفخمة) -أي المستعلية عند القدماء(٤٧)-. أما صوت (الغين) فصوت مجهور رخو مخرجه ادنى الحلق الى الفم(٤٨)وهو ايضاً من حروف الاستعلاء(٤٩) (أو شبه المفخمة).

ويبدو ان الذي سوّغ هذا الإبدال المتبادل بين الصوتين هو التجاور في المخرج فـ(القاف) حنكي, و(الغين) حلقي , ثم اشتراكهما في صفة (الاستعلاء) أو (شبه التفخيم) ، ولكن الفرق بينهما ان صوت (الغين) اخف في النطق واسهل من صوت (القاف) ، لأن القاف صوت انفجاري (شديد) يُحبَس معه الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً ثم يطلق سراحه دفعة واحدة فينفجر, اما (الغين) فصوت احتكاكي (رخو) يضيق عند مخرجه مجرى الهواء الخارج من الرئتين , ولا يحبس حبساً, بل يحتك به احتكاكاً مولداً صوت الغين , لذا كان الجهد العضلي معه قليلاً خلافاً لصوت(القاف).

ومع هذا الفارق في الجهد العضلي بين الصوتين الا ان اهل البصرة يبدلون القاف غيناً والغين قافاً ولم يقتصروا على الاثقل أو الأسهل .

ـ إبدال العين حاءً

فتقول في بعثر : بحثر . يروي السيوطي إن ابن مسعود قرأ قوله تعالى (قالوا نعم) (الاعراف/٤٤) بالحاء ، أي: (قالوا نحم), وقرأ ايضاً (اذا بُعثر ما في القبور) (العاديات/٩) (بُحثر) بالحاء(٥٠).

وهذا الابدال من الظواهر الصوتية القديمة التي مازلت موجودة في اللسان البصري- وفي مناطق كثيرة من العراق- وخصوصاً في الفعل (بعثر) اذ يبدلون العين حاءً فيقولون في بعثر : بحثر .

- التحليل الصوتي

العين صوت مجهور رخو مخرجه من اوسط الحلق, اما الحاء فهو النظير المهموس للعين(٥١). واذا عرفنا هذا أمكننا ان نفسّر سبب ابدال (العين حاءً) كما في بعثر وبحثر. ونلاحظ ايضا ان للثاء دوراً في ذلك الابدال, فصفة الهمس التي تحملها اثرت في العين حتى صيّرتها مهموسة ايضاً وهو ما يُعرف بـ (التأثير الرجعي) الذي يعني بتأثر المتقدم بالمتأخر(٥٢). واذا هُمست العين صارت حاءً (٥٣).

ـ إبدال اللام نوناً

روي ان بني أسد يبدلون اللام نونا فيقولون : اسماعين بدل اسماعيل ، وجبرين بدل جبرائيل(٥٤).

وهو ايضاً موجود اليوم في لهجة البصرة وان كان قليلاً اذ يقولون في اسماعيل : اسماعين ، وفي عزرائيل: عزرايين تماماً كما كان يفعل بنو اسد قديماً .

اما **التحليل الصوتي** لهذه الظاهرة فهو ايضاً مشابه لسابقتها (ابدال العين حاء), وهو التقارب المخرجي والاتفاق في الصفة , اذ ان صوت اللام صوت مجهور شديد منحرف (٥٥)،وعدّه ابن جني صوتاً بين الشدّة والرخاوة (٥٦)،ومخرجه ((من حافة اللسان من ادناها الى منتهى طرف اللسان , من بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى , مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنايا))(٥٧).

اما النون فصوت مجهور شديد ذوغنّة, مخرجه((من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا))(٥٨). فالصوتان اذن مجهوران ومتقاربان مخرجاً.

ـ إبدال الجيم شيناً

ونجد في اللهجات العربية ان من العرب من يبدل الجيم شيناً وهو ما ورد عن بني تميم , يقولون ((جَمع بأنفه وشمخ بانفه إذا تاه وتكبّر)) (٥٩).

اما في اللهجة العراقية الحديثة- والبصرية منها على وجه الخصوص- , فإن هذا الابدال الذي عزي الى تميم ما يزال موجوداً على الألسنة, اذ يقولون : اشتمع , واشتماع , بدل اجتمع واجتماع .

- التحليل الصوتي

الجيم -عند القدماء- صوت مجهور شديد مخرجه من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، أما الشين فصوت مهموس رخو مخرجه من مخرج الجيم نفسه(٦٠).

والجيم – عند المحدثين– محل خلاف في طبيعة النطق بها وصفاتها وتاريخ تطورها, فالمستشرق الالماني (برجستراسر) يرى ان اكثر العرب تنطقها معطشة, وانها في الاصل كانت تنطق مثل الكاف التركية في كلمة (كاه), ولم تكن كالجيم المصرية(٦١).،في حين يرى الدكتور رمضان عبد التواب– مترجم كتاب برجستراسر– ان هذا الرأي الذي قال به المستشرق الالماني غير سليم, ويرى انه من خلال الدراسة المقارنة للغات السامية تبين ان النطق الاصلي للجيم القاهرية (كـ) ولم يكن معطشاً , ثم تطوّر الصوت في العربية فتحول من الطبق الى الغار وغير مخرجه من اقصى الحنك الى أوسطه وتحول من صوت بسيط الى صوت مزدوج يبدأ بدال وينتهي بشين مجهورة , ويرى ايضاً ان هذا الصوت كان مقتصراً على الجيم المكسوره ثم عُمّم بعد ذلك على كل جيم , وان النحاة العرب لم يكونوا دقيقين في وصفهم لهذا الصوت(٦٢).

اما الدكتور ابراهيم انيس فيرى ان صوت الجيم كان سبباً في تفريق العرب حديثاً لتنوّع النطق بهذا الصوت, فهناك الجيم القاهرية والشامية والفصيحة(٦٣)،وبعضهم اورد الصنعانية والخليجية والمغربية وغيرها ولكل جيم صفتها الصوتية ومخرجها(٦٤).

اما تفسير هذا الابدال من الناحية الصوتية فهو انه حينما يلتقي صوت مجهور مع آخر مهموسه يؤثر احدهما بالآخر,فإما أن يصحبا مجهورين أو مهموسين, فإذا اثّر المتأخر بالمتقدم وكان المتأخر مهموساً صار كلاهما مهموسين وهو ما يطلق عليه (التأثير الرجعي)– الذي بيناه سابقاً– وهذا الامر هو الذي حصل في هذا الابدال اذ تأثر صوت الجيم المجهور المتقدم بصوت (التاء) المتأخر المهموس فتحول الى صوت مهموس وهو (الشين) لأنها النظير الرخو المهموس للـ (الجيم) فصار اللفظ (اشتمع)(٦٥).

وهناك ظاهرتان صوتيتان ترتبطان بهذا الابدال أشار اليهما القدماء وذكروا ان احدهما مستحسنة عند العرب والأخرى غير مستحسنة ، فأما المستحسنة فهي (الشين التي كالجيم), واما غير المستحسنة فهي (الجيم التي كالشين) (٦٦).

فالظاهرتان اذن عبارة عن مزج الصوتين ودمجهما معاً أو امالة احدهما نحو الآخر فإذا كان اللفظ بالجيم فانها لا تنطق جيماً خالصة وانما مشربة بالشين , واما اذا كان اللفظ بالشين فانها لا تنطق شيناً خالصة ايضاً وانما فيها شيئاً من الجيم ، أي ان الصوت الصادر من ذلك النطق سيكون صوتاً بين (الجيم والشين) . وقد

فسّر ابن جني (الشين التي كالجيم) المستحسنة بقوله : ((واما الشين التي كالجيم, فهي الشين التي يقلّ تفشّيها واستطالتها وتتراجع قليلاً متصعّدة نحو الجيم))(٦٧).

ويبدو ان اشتراك الصوتين في المخرج هو الذي سوّغ هذا التداخل بين الصوتين, فتارة نجد الشين تميل نحو الجيم في الكلمات التي فيها شين , في محاولة للجهر بالصوت اذ الجيم مجهورة . وتارة تميل الجيم نحو الشين في الكلمات التي يوجد فيها الجيم, للتخلص من الجهر واكتساب صفة الهمس , اذ الشين مهموسة.

ولو تأملنا في اللهجات الحديثة للعرب لوجدنا ان اللهجة الشامية (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) تغلب عليها ظاهرة (الجيم التي كالشين), وهي ان تنطق (الجيم) كما تنطق الجيم الفرنسية أو نهاية كلمة (garage) الانكليزية. وقد سمّيت (الجيم الشامية) نسبة الى المنطقة التي تنطق فيها(٦٨)..اما في اللهجة البصرية الحديثة فهناك بعض من ينطق بهذه الجيم الشامية (التي كالشين) وخصوصا في قضاء القرنة والهوير يقولون : جف النهر فينطقون الجيم ممزوجة بالشين , وكذا في قولهم : جاموس , وجلد, وماجد , ودجاج.

ـ ابدال الجيم ياء

روي ان أبا حاتم السجستاني قال : ((قلت لأم الهيثم : هل تبدل العرب الجيم (ياء) في شيء من الكلام؟ فقالت : نعم ثم انشدتني :

اذا لم يكن فيكنّ ظلّ ولاجني فابعدكُنّ الله من شيرات)) (٦٩).

فأبدلت (الجيم) (ياء) في (شيرات) والاصل (شجرات)(٧٠).

ونُسب هذا الابدال الى بني تميم, اذ يقولون في (الصهريج) : (الصهريّ) أما في اللهجة البصرية الحديثة , فنجد هذه الظاهرة منتشرة في العديد من الاقضية والنواحي كـ (الهارثة, وكرمة علي, والدير, وشط العرب, والفاو, والسيبة, وابي الخصيب) فيقولون في حجرة(حيرة) وفي دجاجة (دياية) وفي رجل (ريل) وهكذا .

- التحليل الصوتي :

يبدو أن هذا الابدال الذي حصل بين هذين الحرفين أو الصوتين,انما هو من اجل التخفيف في النطق, اذ ان صوت الجيم اشدّ من صوت (الياء)- وان كان كلاهما مجهورين الا ان الجيم صوت شديد اما الياء فصوت رخو فمال اللسان نحو (الياء) للتخلص من شدّة (الجيم), والذي سوّغ هذا الابدال هو التقارب المخرجي بين الصوتين وأنهما من الأحرف الشجرية (نسبة الى شجر الفم)(٧١). ومما يدلل على ان هذا الابدال نوع من أنواع التخفيف ان هناك ظاهرة لهجية قديمة سُمّيت بـ (العجعجة) تُنسَب الى قبيلة أسد اذ يبدلون الياء جيماً فيقولون في تميمي :

تميمج(٧٢)أي انهم اثروا الجيم على الياء لأنها اشدّ من الياء فلاءمت بيئتهم البدوية التي تؤثر الأصوات الشديدة ذات الجهد العضلي الكبير(٧٣).

ـ الصاد التي كالزاي

وهو ان تلفظ الصاد وفيها شيء من الزاي فلا تكون صاداً خالصة وانما مشوبة بالزاي. وقد عدّ ابن جني هذا الصوت من الأصوات الحسنة التي يؤخذ بها في القرآن الكريم وفصيح الكلام(٧٤)،ثم انه فسّر هذه الظاهرة الصوتية بقوله : ((واما الصاد التي كالزاي فهي التي يقلّ همسها قليلاً ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي , وذلك قولك في يُصدُر :يصدر, ويقصُد : قصد, ومن العرب من يخلصها زايا فيقول : يزْدُر, وقزْد))(٧٥).

هذا الاستعمال اللهجي عند العرب والمستحسن عندهم مازل استعماله موجوداً في اللسان البصري اليوم- وكذا في اللهجة العراقية عموما- اذ مازالت هذه الظاهرة موجودة في كثير من الالفاظ , وهي ان تميل بالصاد نحو الزاي فيُسمَع صوت بين الصاد والزاي في كلمات مثل : اصْدقاء, اصْدار, قصْد, يصْدع, يصْدق. واما ما اشار اليه ابن جني من ان بعض العرب من يخلص الصاد زايا- أي يبدل الصاد زايا فهذا ايضا موجود في اللهجة العراقية- والبصرية بوجه خاص- وبالذات في كلمة (لصق)وتقلباتها(يلصق, لاصق, لصقة, ملصوق, لصّاق), اذ تبدل الصاد في هذه الكلمات (زايا) خالصة, ولكن مع ابدال (القاف) جيما قاهرية أي (كـ), فتلفظ هكذا : (يلزك, لازك, لزكة, ملزوك, لزّاك).

-التحليل الصوتي

اما تفسير هذه الظاهرة من الناحية الصوتية فهو خاضع لما يسمى(التأثير الرجعي)(٧٦), أي ان الصوت المتأخر يؤثر في الصوت المتقدّم ليحقق نوعاً من الانسجام الصوتي , اذ يميل الصوت المتأثر نحو الصوت المؤثر ليأخذ بعضاً من صفاته فيتحول الى الصوت الاقرب لذلك الصوت المؤثر, وهذا ما حصل بين الدال (المؤثر) والصاد (المتأثر) اذا اضْطرّ(الصاد) ان يترك (الهمس) ويتحول الى (الجهر) بأثر من الدال المجهورة فتحول الصاد زايا, ولكنها ليست زايا خالصة بل مازالت تحمل صفة الاستعلاء أو (شبه التفخيم) فلم تتحوّل (سينا), بل صارت زايا مفخّمة ولولا شبه التفخيم لصارت سينا(٧٧), اما اذا بولغ في الجهر وترك شبه التفخيم صارت زايا , وهو ما حصل في بعض كلام العرب, واللهجة البصرية الحديثة.

ثانياً / تخفيف الهمزة٧

يُعدّ تخفيف الهمزة أحد السمات اللهجية لقبيلة قريش واكثر اهل الحجاز, اذ يقولون :(يوسف, وفاس, وبير), اما تحقيق الهمزة فيكثر في البيئة البدوية, لذا نجده عند تميم وقيس وأسد اذ يقولون : يؤسف, وفأس, وبئر, ولكن المصادر تروي ان-

بعضاً من تميم وأسد قد أثر عنهم الميل نحو تخفيف الهمز كقولهم : راس, وبير , ولوم, وأرجيتُ, والشرى بدلاً من الشراء(٧٨).

وقُرِيء على لهجة اهل الحجاز قوله تعالى : (فأكله الذيب).(يوسف/ ١٧) بدل (الذئب)(٧٩).

ولهذه الظاهرة القرشية آثار في اللسان البصري الحديث,اذ نجد البصريين يستعملون هذا التخفيف في كثير من كلماتهم- كما في ماي بدل ماء, ويقرَ بدل يقرأ, يجي بدل يجيء, بير بدل بئر وراس بدل رأس, والقليل منهم من يبدل الهمزة واوا فيقول (وذان) بدلاً من (اذان), و (ودّن) بدلاً من (أذّن), وبعضهم يبدلها عيناً فيقول في جرأة : (جرعة).

- **التحليل الصوتي**

يمكن ان يعدّ تخفيف الهمزة من عوامل التيسير والسهولة في النطق , لأن لهمزة صوت انفجاري يحبس معه الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً نتيجة انطباق الوترين الصوتيين في الحنجرة ، ثم يطلق سراحه فجأة فيحدث صوت انفجاري هو الهمزة(٨٠). وهذا بدوره يحتاج جهداً عضلياً كبيراً, لذا عُدّت عملية نطق الهمزة من اصعب العمليات الصوتية واشقها(٨١). في حين ان تخفيف الهمزة والميل بها نحو أصوات اللين كالالف والياء والواو- التي يكون معها الهواء حراً طليقاً لا يحبسه شيء أو يصده- لا يحتاج جهداً عضلياً كبيراً كما هو حال الهمزة، ومن هنا عمد اهل الحضر إلى ذلك التخفيف ليتلاءم مع بيئتهم, واختار اهل البدو الهمز ليتلاءم مع بيئتهم (٨٢). وان كان بعض من ينتمي اليهم قد اختار التخفيف- كما ذكرت المصادر .

ثالثاً / التلتلة أو (كسر تاء الفعل المضارع)

تروي المصادر ان قبائل قيس وتميم وأسد وربيعة يكسرون تاء الفعل المضارع أو(ناءه) فيقولون : تِعلم , ونِعلم (٨٣).أما قبيلة بهراء – وهي من قضاعة- فيكسرون الفعل حتى مع (الياء) فيقولون: يِعلم(٨٤).. وقد اشتهروا بهذه الظاهرة حتى سُمّيت باسمهم , يقول ابن جني : ((وأما تلتلة بهراء فإنها تقول: تعلمون وتصنعون بكسر اوائل الحروف))(٨٥). وقبل ابن جني كان سيبويه يرى ان هذه الظاهرة صفة كل العرب الا اهل الحجاز ينطقون الفعل بالفتح(٨٦).

أما آثار هذه الظاهرة فما زالت باقية في اللهجة البصرية – والعراقية عموماً, بل وفي اغلب اللهجات العربية الحديثة – اذ تُستعمل الكثير من الأفعال المضارعة مكسورة التاء نحو : تِدرس , وتِلعب, وتِضحك,وتِفرح, وتِنجح, وتِركض, وتِسبح, ولم يقتصر الأمر على المضارع بل تعداه للماضي نحو : كِتْب, دِرَس, مِسَح, رِجَع, وهكذا ولكن مع فتح الحرف الثاني .

- **التحليل الصوتي**

يرى الدكتور رمضان عبد التواب ان كسر أحرف المضارعة انما هو أصل في اللغات السامية فيوجد في العبرية والسريانية والحبشية, أما الفتح فأمر ((حادث في العربية القديمة بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة))(٨٧). في حين يرى كل من الدكتور إبراهيم أنيس والمستشرق بروكلمان ان الاصل هو الفتح- في السامية الاولى- ((ثم تطوّر الى الكسر في معظم اللغات السامية))(٨٨). اما سبب التحول من الفتح الى الكسر فخضوعه لقانون صوتي يجعل لـ(فاء الكلمة) أثرا فيه فإذا كانت (فاء الكلمة) من حروف الحلق مال حرف المضارعة نحو الفتح, وان لم تكن من حروف الحلق بقي حرف المضارعة ملتزماً الكسر (٨٩).

رابعاً / الاتباع الحركي

ويعني تأثر بعض الحروف بحركات الحروف المجاورة لها فتتبع حركتها وتنسجم معها, وقد رُوي عن أسد وقيس وتميم انهم يقولون : (بعير, وزئير, وشهيق, ونحيف) فيكسرون الحرف الأول من الكلمة التي تأتي على وزن (فعيل), اذا جاء بعده حرف مكسور تتلوه (الياء)- احدى حروف الحلق(٩٠)- ، يقول ابن جني :((سمعت الشجري غير مرّة يقول : زئير الأسد يريد الزئير))(٩١).

ولهذه الظاهرة آثار عديدة في اللسان البصري الحديث, وان كان هناك تفاوت مناطقي في استعمالها , ولكنها- على العموم- موجودة في المناطق الريفية والمناطق الشعبية ذات النزعة العشائرية فيقولون : غليظ , فريضة , دليل, وصديق في (صديق), وجثير في (كثير) وجليل في (قليل).

- التحليل الصوتي

يمكن تفسير هذه الظاهرة بناءً على قانون صوتي عام يسمى (انسجام أصوات اللين في الكلمة الواحدة (Vowel-Harmony), ((فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها الى الانسجام بين هذه الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم الى كسر الى فتح في الحركات المتوالية, وقد برهنت الملاحظة الحديثة على ان الناطق حين يقتصد في الجهد العضوي يميل دون شعور منه أو تعمّد الى الانسجام بين حركات الكلمات))(٩٢), لأن توالي كسرتين في كلمة أيسر على اللسان من توالي فتحة ثم كسرة أو ضم فكسر أو فتح وهكذا, لذا عُدّت هذه الظاهرة من مظاهر التخفيف والميل نحو التيسير والسهولة في النطق والاقتصاد في الجهد العضلي . ويمكن ان نعدّ هذا الانسجام الحركي من باب السرعة في النطق- الناتج من التأثير البيئي- الذي يُسهم ايضا في تقليل الجهد العضلي لأن التنقل بين الحركات المتباينة يؤدي الى ثِقل اللسان وبطء عملية النطق في الكلمة الواحدة, أما تنقل اللسان بين الحركات المتجانسة فيكون اخفّ وأسرع . ومن هنا كثُر هذا الانسجام على ألسنة اهل القرى والأرياف, والبدو الرّحل , لأن

حياتهم فيها حركة دؤوبة وقاسية وغير مستقرّة فلاءمتها سرعة النطق , اما حياة الحضر أو المدن فأكثر هدوءاً واستقراراً وسكوناً, تجعل من المتكلم اقلّ سرعة في نطقه واكثر تأنّياً بشكل يمكنه الانتقال بين الحركات المتباينة وتحقيق اكثرها .

وقد عكس الدكتور إبراهيم أنيس هذا الأمر فجعل السرعة في النطق ناتجاً من حياة السكينة والهدوء الذي تمتّعت به حياة البدو, وان هذا الاقتصاد في الجهد العضلي هو أشبه بالكسل في النطق الذي أصيب به اهل البدو(٩٣).ولعمري اين هذه السكينة , وليس هناك استقرار نفسي أو مكاني؟ واين ذلك الهدوء من تلك الحياة المليئة بالمخاطر وقساوة العيش والعمل الدؤوب وانعدام وسائل الراحة والاسترخاء؟

خامساً / تشديد الواو والياء في (هو , هي)

يروى عن قبيلة همدان انها كانت تشدّد واو الضمير (هوَ) وياء الضمير (هيَ) فتقول : هوّ , وهيّ(٩٤).

فهذا التشديد اذن ما هو الاّ مظهر لهجيّ اتسمت به قبيلة همدان ، وقد بقيت آثار هذه الظاهرة اللهجية حتى يومنا هذا متمثلة باللهجة العراقية عموماً, -والبصرية على وجه الخصوص- ، إذ ينطقون الضميرين (هو وهي) كما كانت تنطقه همدان من قبل ، فيقولون : (هوّ و هيّ) , والقليل منهم ينطقهما : (أهُوّ , وإهيّ) كما في بعض مناطق القرنة وناحية الهوير والمدينة وفي بعض مناطق الزبير .

سادساً / القَبْض

القبض يعني ((طيّ حرف أو اكثر من أحرف الكلمة , وهذا يقع في الأسماء والأفعال والضمائر والحروف , يعرض لأول الكلمة كما يعرض لآخرها))(٩٥), ومثاله طيّ حرف (الذال) في الاسم الموصول (الذي) و (التاء) في (التي) فيصبح اللفظ (اللي) للمذكر والمؤنث(٩٦).

تقول : جاء اللي اعرفه, أي: الذي اعرفه ، وجاء اللي اعرفها ، أي : التي اعرفها ومن القبض ايضاً طيّ حرف (الالف المقصورة) من حرف الجر (على) فيصبح (علْ), فتقول : عَلارض , أي : على الأرض (٩٧)،وهو منسوب الى قبيلة (بلحارث)(٩٨)،. وكلا الحالين من القبض موجودتان اليوم في اللهجة البصرية، اذ يطلقون على (الذي , والتي) لفظاً واحداً وهو (اللي) فيقولون الرجل اللي في السيارة , والمرأة اللي في السيارة .

وكذا الحال في الحرف (على), اذ يحذفون (الفه المقصورة) ويتسكّن اللام فيقولون : علْ كرسي , أي : على الكرسي, وعلْ مكتب أي: (على المكتب), وعلْ رف , أي : على الرّف .

والقبض نوع من أنواع الاختزال الصوتي, غرضه تقليل الجهد العضلي لأجل السهولة والتخفيف في النطق, ثم السرعة في نطق الكلمة مع الاسم الموصول أو مع حرف الجر. فكلما قلّت المقاطع الصوتية, ازدادت سرعة النطق وقلّ الجهد

على اللسان, ولما كان القبض يؤدي الى حذف مقطع صوتي كان ذلك مدعاة للتخفيف والسرعة في النطق.

سابعاً/ النحت اللغوي

يرى الدكتور إبراهيم السامرائي ان البدو يميلون نحو ((الإيجاز الحذف والخرم يركبون الكلمة الواحدة من كلمتين على سبيل النحت اللغوي نحو : هسّه : ويريدون بها هذه الساعة, وهالحين : ويريدون بها هذا الحين))(٩٩).

وهذه الظاهرة من النحت اللغوي مازالت موجودة, فالكثير من البصريين يقولون : هسّه بمعنى : هذه الساعة , والبعض منهم- وخصوصاً في قضاء الزبير- يقول : هالحين, بمعنى هذا الحين .

ـ استعمال (ياهياه) للنداء

تذكر المصادر ان بني أسد اذا نادوا احداً يقولون : (ياهياه أقبل), ويطلقون صيغة (ياهياه) لنداء المفرد والمثنى والجمع (المذكر المؤنث)(١٠٠).

ولو تتبّعنا اللهجة البصرية الحديثة لوجدنا ان هناك استعمالاً شبيها باستعمال بني أسد ولهجتهم في النداء وهو اللفظ (هَيْ), فالبصريون يستعملون هذا اللفظ لنداء من يجهلونه من المفرد أو المثنى أو الجمع, واحياناً ينادون به من يحتقرونه فيقولون : هَيْ ياولد , وربما كان هذا اللفظ (هَيْ) هو نفسه صيغة بني أسد (ياهياه) ولكن تطور فحذفت منه (يا) النداء والإلف والهاء فصار (هَيْ) بعد تسكين (الياء).

ـ استعمال (هاءك) بمعنى (خُذْ)

ذكر الخليل بن احمد الفراهيدي ان (ها) تأتي لمعنى (خذ), وان للعرب فيها لغات(١٠١). وذكر سيبويه ان هذه اللغات هي : (هاءَ وهاءَك, وهَا, وهَاكَ)(١٠٢).وي عن بني دبير من اسد انهم يقولون : هاءك يارجل, وهاء كما يا رجلان وهاءكم يا رجال, وهاءك يا امرأه وهاءكنّ يا نساء , فيدخلون كاف الخطاب على اسم الفعل(١٠٣).

اما في اللهجة البصرية الحديثة فنجد ان استعمال (ها) بمعنى (خذ) كثير جداً ولكن بحذف الهمزة والابقاء على كاف الخطاب للمفرد والجمع المذكر فقط فيقولون : هاكْ (للمفرد), و (هاكُمْ) للجمع.

أما المفردة المؤنثة فيقلبون (الكاف), (ج) أي مثل صوت (ch) الانكليزية , فيقولون : هاج , ولجمع الاناث : هاجَنّ, أي بتسكين النون وفتح ما قبلها .

واحياناً يحذفون (الالف) في (ها), فيقولون (هَكْ , وهَكُمْ, وهَجْ , هَجَنّ) ولا يوجد للمثنى (المذكر والمؤنث) صيغة مستقلية بل يعاملونهما معاملة الجمع .

ـ استعمال (ال) التعريف بمعنى (الذي) وادخالها على الفعل

هناك ظاهرة لغوية وردت عند العرب وذكرها النحاة , وذكروا لها بعض الامثلة وهي استعمال (ال) التعريف بمعنى (الذي) الموصولة وادخالها على الفعل وان كان هذا نادراً وقليلاً, ولكنه ورد عن العرب, ومن ذلك قول الفرزدق

ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

إذ استعمل(ال) التعريف بمعنى (الذي) وادخله على الفعل المضارع (ترضى), وهو عند جمهور النحاة البصريين لا يجوز إلاّ في الشعر(١٠٤).

ولهذا الاستعمال امثلة كثيرة في اللسان البصري الحديث, اذ يقولون: اليقرا, أي:الذي يقرأ, واليكتب, أي: الذي يكتب, واليشرب أي : الذي يشرب,...

وأمثلة كثيرة على هذا الاستعمال الوارد عن العرب القدماء .

الهوامش

(١) الخصائص ، ابن جني : ١/ ٤١١ .

(٢) المزهر , السيوطي : ١/ ٢٢١ .

(٣) لسان العرب, ابن منظور, مادة(سرط), وينظر : الابدال, أبو الطيب اللغوي ٢/ ١٨٦ (في الهامش).

(٤) ينظر : في اللهجات العربية, إبراهيم أنيس: ١٢٨, اللهجات العربية في التراث, احمد علم الدين الجندي ٢/ ٤٤٣.

(٥) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٤.

(٦) سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٦١.

(٧) نقلاً عن (الوحدات الصوتية- الفونيمات- المفخمة في لهجة البصرة, دراسة في علم الأصوات- قاسم راضي البريسم: ١٢٨, مجلة الخليج العربي- مج٢١, ع (٣-٤), س: ١٩٨٩.

(٨) في الأصوات اللغوية, ابراهيم أنيس : ٧٧ .

(٩) ينظر : سر صناعة الإعراب: ١/ ٦١ .

(١٠)المصدر نفسه: ١/٢٠١ (طبعة السقا).

(١١) ينظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي, عبد الصبور شاهين : ٢٧١ .

(١٢)ينظر : في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس: ١٣٣ .

(١٣) ينظر : التهذيب, الأزهري ١/١١٢ (مادة عنن), لهجة قبيلة أسد , علي ناصر غالب: ١٠٥ .

(١٤) ينظر : العين, الفراهيدي ١/٩١ .

(١٥) ينظر : اللسان, ابن منظور مادة (عنن).

(١٦) ينظر : العين : ١/١٢٣, الجمهرة , ابن دريد :١/ ٢٣٧- ٢٣٨, الإبدال, أبو الطيب ٢/ ٥٥٥- ٥٥٦ .
(١٧) ينظر : الكتاب : ٤/٤٣٣- ٤٣٥ ، المقتضب، المبرد : ١/١٩٢ ، ١٩٥
(١٨) ينظر : في الأصوات اللغوية , إبراهيم انيس : ٩١ .
(١٩) ينظر : اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي, عبد الصبور شاهين: ٢٤ . ٢٥
(٢٠)التهذيب : ١٨/ ١٤٣, وينظر : في اللهجات العربية , إبراهيم انيس : ١١١ .
(٢١) ينظر : الجمهرة ١/ ٢٣٧, في اللهجات العربية : ١١١ .
(٢٢)القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : ٣١-٣٢ .
(٢٣) ينظر لهجات العـــــرب, احمد تيمور : ١١٣,التوزيع الجغرافي اللغوي في العراق, إبراهيم السامرائي: ١٠٥
(٢٤) ينظر : البحر المحيط, أبو حيان الأندلسي: ٨/ ٥١٩ .
(٢٥) سر صناعة الإعراب : ١/ ١٩٧ .
(٢٦) ينظر : في اللهجات العربية , إبراهيم انيس: ١٤٢ .
(٢٧) ينظر : المصدر نفسه(والرأي لرابين) : ١٤٢ .
(٢٨) ينظر : ملامح من تاريخ اللغة العربية , احمد نصيف الجنابي : ٢٦- ٢٧
(٢٩) ينظر : الكتاب : ٤/ ١٩٩, الصحاح, للجوهري : ٣/ ١٠١٨ مادة (كشش) ، في اللهجات العربية, إبراهيم أنيس : ١٢١ .
(٣٠) ينظر : الإبدال : ٢/ ٢٣١ .
(٣١) ينظر : ملامح من تاريخ اللغة العربية, احمد نصيف الجنابي : ٤١ .
(٣٢) في اللهجات العربية : ١٢٣ .
(٣٣) ينظر : فصول في فقه العربية, رمضان عبد التواب: ١٢٥ .
(٣٤) ينظر : في اللهجات العربية : ١٢٤ .
(٣٥) ينظر : الجمهرة, لابن دريد: ١/٥ , القلب والإبدال, ابن السكيت: ٣٧ .
(٣٦) ينظر: معاني القرآن : ٢/ ٢٧٤, لهجة قبيلة أسد , علي ناصر غالب: ٩٧ .
(٣٧) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة, ابن فارس: ٥٥ .
(٣٨) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٣- ٤٣٤, سر صناعة الإعراب, ابن جني: ١/ ٥٢, ٦٩ .
(٣٩) ينظر : المصدران انفسهما: ٤/ ٤٣٢, ١/ ٥١ .
(٤٠) ينظر : في اللهجات العربية, إبراهيم انيس : ١٠٦ .(٤١) سر صناعة الإعراب : ١/ ٦١ . (٤٢)علم الأصوات, برتيل ماليرج, ترجمة: عبد الصبور

شاهين : ١١٧ وما بعدها (٤٣)نظر : الوحدات الصوتية (الفونيمات) المفخّمة في لهجة البصرة , قاسم راضي البريسم : ١٢٥, مجلة دراسات الخليج- مج : ٢١ , ع : ٣-٤ , س : ١٩٨٩ .

(٤٤) الإبدال : ٢/ ٣٢٩ .

(٤٥) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٤ .

(٤٦) ينظر : في الأصوات اللغوية , إبراهيم انيس : ٨٨ .

(٤٧) ينظر : الكتاب : ٤/ ١٢٨, سر صناعة الإعراب, ابن جني : ١/ ٦٢ .

(٤٨) ينظر : المصدر نفسه : ٤/٤٣٤ .

(٤٩) ينظر: المصدر نفسه : ٤/ ١٢٨ , سر صناعة الإعراب : ١/ ٦٢ .

(٥٠) ينظر : همع الهوامع : ٢/ ٧٦, في اللهجات العربية : ١٠٩ .

(٥١) ينظر : الكتاب: ٤/ ٤٣٤ .

(٥٢) ينظر : في اللهجات العربية , إبراهيم انيس : ١٣٣ .

(٥٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٩ .

(٥٤) ينظر : معاني القرآن , الفراء : ٢/ ٣٩١, تفسير القرطبي : ٢/ ٣٧ .

(٥٥) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٤- ٤٣٥ .

(٥٦) ينظر : سر صناعة الإعراب : ١/ ٦١ .

(٥٧)(٥٨) المصدر نفسه : ١/ ٤٧ .

(٥٩) ينظر : الإبدال , أبو الطيب اللغوي ١/ ٢٢٦, اللهجات العربية في التراث, احمد علم الدين الجندي: ٢/ ٤٥٧ .

(٦٠) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٤٣- ٤٣٤ .

(٦١) ينظر: التطور النحوي, ترجمة رمضان عبد التواب : ١٧ .

(٦٢) ينظر : التطور النحوي , برجستراسر : ١٨ (في الهامش).

(٦٣) ينظر : في الأصوات اللغوية : ٧٩ .

(٦٤)للمزيد من التفاصيل ينظر : حوار اللغات , نادر سراج : ٤٦ وما بعدها .

(٦٥) ينظر : في اللهجات العربية , إبراهيم انيس : ١٣٢- ١٣٣ .

(٦٦) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٢, سر صناعة الإعراب ١/ ٤٦ .

(٦٧) سر صناعة الإعراب : ١/ ٥٠ .

(٦٨) ينظر : في الأصوات اللغوية , إبراهيم أنيس : ٧٧- ٧٨ , حوار اللغات , نادر سراج: ٤٧- ٤٨ .

(٦٩) المزهر, السيوطي: ١/ ٢٢٢ .

(٧٠) ينظر : الإبدال , أبو الطيب اللغوي : ١/ ٢٦١ .

(٧١) ينظر : دراسات في فقه اللغة, صبحي الصالح: ٢٧٩ .
(٧٢) ينظر : لهجة قبيلة أسد, علي ناصر غالب : ١٠٠ .
(٧٣) ينظر : في اللهجات العربية , إبراهيم أنيس : ١٢٥ .
(٧٤) ينظر : سر صناعة الإعراب: ١/ ٤٦ .
(٧٥) المصدر نفسه: ١/ ٥٠ .
(٧٦) ينظر : في اللهجات العربية , إبراهيم أنيس : ١٣٢- ١٣٣ .
(٧٧) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية , عبد الصبور شاهين : ٢٠٩ .
(٧٨) ينظر : الأضداد في كلام العرب , أبو الطيب اللغوي : ١/ ٣٩٣ , لهجة قبيلة أسد , علي ناصر: ١٠٩ وما بعدها .
(٧٩) ينظر : تفسير الطبري : ٩/ ١٦ .
(٨٠) ينظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث, عبد الصبور شاهين : ٢٤ .
(٨١) ينظر : المصدر نفسه : ٧٧ .
(٨٢) ينظر : في اللهجات العربية , إبراهيم أنيس : ٧٦ .
(٨٣) ينظر : البحر المحيط , أبو حيان الأندلسي ١/ ٢٣- ٢٤ .
(٨٤) ينظر : في اللهجات العربية , ابراهيم أنيس : ١٣٩ .
(٨٥) سر صناعة الإعراب : ١/ ٢٣٥ .
(٨٦) ينظر : الكتاب : ٤/ ١١٠ .
(٨٧) فصول في فقه اللغة : ١٢٥
(٨٨) في اللهجات العربية : ١٤٠ , وينظر : فقه اللغات السامية , كارل بروكلمان : ١١٦ .
(٨٩) ينظر : المصدر نفسه : ١٤٠ .
(٩٠) ينظر : لسان العرب , مادة (مخض), لهجة قبيلة أسد ,علي ناصرغالب : ١٢٢ .
(٩١) الخصائص : ٢/ ١٤٣ .
(٩٢) في اللهجات العربية , إبراهيم أنيس : ٩٦- ٩٧ .
(٩٣) ينظر : في اللهجات العربية : ١٣٢ .
(٩٤) ينظر : البحر المحيط , أبو حيان الأندلسي : ١/ ١٣٣ , همع الهوامع , السيوطي : ١/ ٦١ .
(٩٥) التوزيع الجغرافي اللغوي في العراق, إبراهيم السامرائي : ١٠٧ .
(٩٦) ، (٩٧) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٧ .

(٩٨) ينظر : في اللهجات العربية , إبراهيم أنيس : ١٣٦ .
(٩٩) التوزيع الجغرافي اللغوي في العراق : ١٠٨ .
(١٠٠) ينظر : لهجة قبيلة أسد , علي ناصر غالب : ٢١٥
(١٠١) ينظر : العين : ٤/ ١٠٢ .
(١٠٢) ينظر : الكتاب : ١/ ٢٤٤ .
(١٠٣) ينظر : لهجة قبيلة أسد , علي ناصر غالب : ٢١٤
(١٠٤) ينظر : شرح ابن عقيل : ١/ ٧٥

مصادر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم
- الابدال ,لأبي الطيب اللغوي, تحقيق : عز الدين التنوخي, دمشق، ١٩٦٠ .
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي, عبد الصبور شاهين, مكتبة الخانجي, مصر, ١٩٨٧.
- الأضداد في كلام العرب, لابي الطيب اللغوي, تحقيق: عزة حسن, مطبعة الترقي، دمشق, ١٩٦٣.
- البحر المحيط, لابي حيان الأندلسي النحوي, مطبعة السعادة, مصر , ١٣٢٩هـ .
- التطور النحوي للغة العربية, المستشرق الالماني برجستراسر, ترجمة : رمضان عبد التواب, مكتبة الخانجي, القاهرة, ط٤, ٢٠٠٣.
- التوزيع الجغرافي اللغوي في العراق, إبراهيم السامرائي, معهد البحوث والدراسات العربية , جامعة الدول العربية , ١٩٦٨ م .
- تهذيب اللغة , لابي منصور محمد بن احمد الازهري, تحقيق: عبد السلام محمد هارون وأخرون, الدار المصرية, ١٩٦٤ .
- الجامع لإحكام القران, للقرطبي, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط٢, ١٩٦٧.
- جمهرة اللغة , لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد, مصور بالاوفسيت عن مطبعة حيدر آباد- الدكن, ١٣٤٤هـ, مؤسسة الحلبي وشركاه.

- حوار اللغات, نادر سراج, دار الكتاب الجديد المتحدة , ليبيا- ٢٠٠٧.
- الخصائص, لأبي الفتح عثمان بن جني , تحقيق: محمد علي النجار, دار الشؤون الثقافية, بغداد, ط٤, ١٩٩٠.
- دراسات في فقه اللغة, صبحي الصالح, دار العلم للملايين, لبنان, ط٩, د.ت.
- سر صناعة الأعراب, لابي الفتح عثمان بن جني, تحقيق: حسن هنداوي, دار القلم, دمشق, ١٩٨٥م.
- شرح ابن عقيل, بهاء الدين ابن عقيل المصري, تحقيق وشرح: محمد محيي الدين عبد الحميد, مكتبة الهداية, العراق, اربيل, د.ت.
- الصاحبي في فقه اللغة, لابي الحسن احمد بن فارس , حققه وقدم له: مصطفى الشويمي, مؤسسة بدران للطباعة والنشر, بيروت, لبنان, ١٩٦٤م.
- الصحاح , لاسماعيل بن حماد الجوهري, تحقيق: احمد عبد الغفور العطار, دار العلم للملايين, بيروت, ط٤, ١٩٨٧.
- علم الأصوات, برتيل ماليرج, ترجمة: عبد الصبور شاهين, مكتبة الشباب, ١٩٨٥م.
- العين, للخليل بن احمد الفراهيدي, تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي, دار الرشيد, بغداد, ١٩٨٠م.
- فصول في فقه العربية, رمضان عبد التواب, مكتبة الخانجي, القاهرة, ١٩٧٣.
- فقه اللغات السامية, المستشرق الالماني كارل بروكلمان, ترجمة : رمضان عبد التواب, منشورات جامعة الرياض, ١٩٧٧م.
- في الأصوات اللغوية, إبراهيم انيس, ط٣ , ١٩٦١ .
- في الأصوات اللغوية, إبراهيم انيس , مكتب الانجلو المصرية, ط٤, ١٩٧٣.

- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث, عبد الصبور شاهين, دار الكتاب العربي, القاهرة, ١٩٦٦.
- القلب والابدال , لابي يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت (ضمن الكنز اللغوي)/ تحقيق: اوغست هفنر, المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين, بيروت,١٩٠٣م.
- الكتاب, لابي بشر سيبويه, تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون, عالم الكتاب, بيروت, ط٣, ١٩٨٣م .
- لسان العرب, لابن منظور, تقديم: الشيخ عبد الله العلايلي, دار لسان العرب, بيروت, دت.
- لهجات العرب, احمد تيمور باشا, الهيأة المصرية العامة للكتاب, ١٩٧٣م .
- اللهجات العربية في التراث, احمد علم الدين الجندي, الدار العربية للكتاب, ليبيا, تونس, ١٩٧٨م.
- لهجة قبيلة اسد, علي ناصر غالب, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ١٩٨٩م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها, لجلال الدين السيوطي, تحقيق: محمد احمد جاد المولى وآخرون, عيسى البابي الحلبي وشركاه, مصر . د.ت
- معاني القرآن, لابي زكريا الفرّاء, تحقيق : احمد يوسف نجاتي وآخرون, دار الكتاب المصرية, ١٩٥٥- ١٩٧٢م.
- ملامح من تاريخ اللغة العربية, احمد نصيف الجنابي, دار الرشيد للنشر, ١٩٨١م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية, عبد الصبور شاهين, مؤسسة الرسالة, بيروت, ١٩٨٠.
- همع الهوامع في شرح الجوامع, لجلال الدين السيوطي, تحقيق: عبد العال سالم مكرم, دار البحوث العلمية, الكويت, ١٩٧٥م.